



المقاصد القرآنية لسورة التين

The Qur'anic purposes of Surah At-Tin

أ.د/ حسن محمد المعلمي

جامعة المحويت- اليمن

elmoulimihassan@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
تضمنت سورة التين الإشارة إلى بشاراة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتسلم القيادة من اليهود والنصارى ليعلو الإسلام على غيره ممن سبقه، وللتأكيد على أن الفطرة الإنسانية السليمة هي الإيمان بالله وحده لأنه الخالق والإله الواحد، فاشتملت سورة التين على ذلك المقصد العام، وتتفرع منه مقاصد عملية ومصيرية تعزز طبيعة الفطرة الإنسانية منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، فمن كفر بالله بخروجه عن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها وانحرف عن الغاية منها فمصيره النار، وقد تولى الله الحكم عليه، وقضى عليه بحكمه وقضائه وعدله وحكمته، وهو أحكم الحاكمين.	تاريخ الارسال: 2024/05/12 تاريخ القبول: 2024/05/19
	الكلمات المفتاحية: ✓ المقاصد القرآنية ✓ التين والزيتون ✓ الفطرة الانسانية
Abstract :	Article info
The Surah At-Tin included a reference to the glad tidings of the Prophet Muhammad, peace be upon him and his family, receiving leadership from the Jews and Christians to elevate Islam above others who came before it. This emphasizes that sound human nature inherently believes in the Oneness of Allah because He is the Creator and the One God. The Surah At-Tin encompasses that general objective, from which stem practical and fateful objectives that reinforce the nature of	Received 12/05/2024 Accepted 19/05/2024
	Keywords: ✓ Quranic purposes ✓ At-Tin & Zaitoon ✓ Human nature

human instinct since the creation of Adam (peace be upon him). Whoever disbelieves in Allah by deviating from the innate nature upon which people have been created, and strays from its purpose, his fate is the Fire. Allah has taken charge of him, and has decreed upon him with His judgment, decree, justice, and wisdom, and He is the most just of judges.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق فسوى، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه، وبعد: القرآن الكريم منهج حياة للبشرية جمعاء، ودستور كامل شامل لجميع أمور العباد، أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم منجماً حسب الوقائع والأحداث، فأتى بتشريع وأحكام وأمثلة وقصص، وعانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العهد المكي للنبوة من أذى وتعنت قريش، وازدادت المؤاذاة والصلف أكثر وطأة في العام العاشر للبعثة 610م، فأنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قصصاً من قصص الأنبياء والرسل تسلية له، وتنبيهاً له وللمؤمنين معه وبشره بمآل الحال إلى فشو الإسلام وعلوه على غيره، ومن السور التي اشتملت على بشارته صلى الله عليه وآله وسلم وتسلمه قيادة البشرية سورة التين، فأوضحت السورة ترابطاً مكانياً بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وربطت ذلك بالفطرة الإنسانية السليمة واستقامتها منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى أن تقوم القيامة، وفي ذلك اليوم يقضي الله بين خلقه بقضائه وعدله وحكمته، وهو ما تضمنته السورة من مقاصد عامة وخاصة، وهو ما سنبينه في البحث إن شاء الله تعالى.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدة نقاط، من أهمها:

- 1- ارتباطه بكلام الله المتين، لأن خدمة كتاب الله بالدراسة والبيان من أشرف العلوم وأجلها.
- 2- دور المقاصد القرآنية في تسهيل فهم كتاب الله.
- 3- التأمل في أقوال المفسرين بما يحقق إبراز المقاصد القرآنية لسورة التين.
- 4- كشف الغايات والمفاهيم والمعاني التي تضمنتها سورة التين وعلاقتها بالمقاصد القرآنية للسورة من أهم ما يخدم التفسير.

سبب اختيار الموضوع:

تم اختيار الموضوع لعدة أسباب من أهمها الآتي:

- 1- إبراز المقاصد القرآنية العامة والخاصة لسورة التين.

- 2- تضمنت سورة التين الإشارة إلى فترة زمنية تقدر بقرون وهي فترة النبوات للرسول أولي العزم مما يستدعي دراسة السورة دراسة موضوعية.
- 2- تعزيز الدراسات المقاصدية القرآنية للصور القرآنية.

أهداف البحث:

- 1- يهدف البحث إلى إبراز المقاصد القرآنية العامة والخاصة لسورة التين.
- 2- تفسير السورة تفسيراً موضوعياً وفقاً لمقاصدها المستنبطة.
- 3- الكشف عن المآلات والغايات والمعاني التي تتضمنها سورة التين.

إشكالية البحث:

يمكن تحديد إشكالية البحث بالسؤال الرئيس: ما هي المقاصد القرآنية لسورة التين؟
المتتبع لما قاله علماء التفسير لهذه السورة يجد فيها إشارات وغايات ماثلة في مواضع كثيرة، إلا أنها لم تُحدد كمقاصد قرآنية عامة وخاصة، لأن استنباط المقاصد لسورة التين، وبيان ما فيها من غايات ومآلات عامة وخاصة بالاعتماد والاستناد إلى أقوال أئمة التفسير واللغة من الأهمية بمكان، ولهذا سيجيب البحث عن ذلك باعتباره يندرج في إطار الدراسات القرآنية (مجال التفسير الموضوعي).

فرضيات البحث:

- يتوقع من خلال دراسة سورة التين الفرضيات الآتية:
- 1- تحتوي سورة التين على مقاصد قرآنية عامة وخاصة.
 - 2- تتحدث سورة التين عن فترة زمنية تقدر بقرون وهي فترة النبوات وتسلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قيادة البشرية من اليهود والنصارى.
 - 4- بينت سورة التين ماهية تكريم الإنسان وواجباته الألّية.

حدود البحث:

تحدد حدود البحث بسورة التين مقاصد ومعاني وتفسير في إطار التفسير الموضوعي.
مصطلحات البحث: المقاصد القرآنية – التين – الزيتون- الفطرة الإنسانية.

منهجية البحث:

تحدد المنهجية المتبعة في البحث على حسب طبيعة الموضوع الذي يتناول سورة قرآنية للكشف عن مقاصدها القرآنية مما يجعلنا نستعمل المناهج الآتية:

- المنهج التحليلي الاستقرائي: وبه نسلك تحليل آيات السورة مع بيان واستقراء المقاصد القرآنية والمعاني واللطائف التفسيرية.
- المنهج الوصفي: وبه نسلك في وصف الغايات والمفاهيم التي تتضمنها سورة التين بالاستناد إلى أقوال المفسرين وأئمة اللغة والمعاجم.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتحري والاطلاع لم أجد دراسة تناولت هذا العنوان: المقاصد القرآنية لسورة التين- في حدود علمي واطلاعي المتواضع - في مجال دراسات المقاصد القرآنية في مجال التفسير، وهناك دراسات في مقاصد قرآنية لبعض سور القرآن غير سورة التين، أما الدراسات المقاصدية الشرعية في مجال الفقه وأصوله فهي كثيرة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، ويتفرع منها عدة مطالب، وثبت للمصادر والمراجع. المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجيته.

المبحث الأول: المقاصد القرآنية العقدية لسورة التين:

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: القسم بالأماكن المقدسة والغاية منه.

المطلب الثالث: الفطرة الإنسانية وتكريم الإنسان.

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية العملية لسورة التين.

المطلب الأول: التصديق المطلق.

المطلب الثاني: العمل الصالح وثماره في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: المقاصد القرآنية المصيرية لسورة التين.

المطلب الأول: حتمية البعث والنشور.

المطلب الثاني: ضرورة العدل في القضاء.

أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: المقاصد القرآنية العقدية لسورة التين

المقصد العام لسورة التين:

سورة التين مكية، وآياتها ثمان، وعدد كلماتها أربع وثلاثون، وحروفها مائة وخمسون حرفاً، نزلت بعد سورة البروج، وقبل سورة قريش، في السنة 611م تقريباً، وترتيبها النزولي 28، وترتيبها في المصحف 95، والمتأمل في آياتها يجد أنها أشارت إلى مقصد عام هو: بيان تكريم الإنسان من خلال تحسين صورته بداية بخلق آدم عليه اسلام، واستمراراً بالتنازل منه، وجعل الإنسان قادراً ومستعداً لتلقي الرسالات السماوية، وتحقيق العبودية لله.

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية:

الفرع الأول: تعريف المقاصد القرآنية باعتبارها مركباً وصفيّاً.

أولاً: المقاصد لغة: جمع مقصد، وهو مصدر ميمي مأخوذ من الفعل قَصَدَ، من باب ضرب، والقاف والصاد والdal عند أهل اللغة أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأَمَّه، والآخر على اكتناز في الشيء. ويأتي (قصد) في اللغة لمعان متعددة: منها استقامة الطريق، والعدل، والاعتماد والأَمُّ، وإتيان الشيء، والتوسط، والكسر⁽¹⁾. ومقصد الكلام: هو أن يتوجّه الكلام واللفظ إلى معنى معين أو غاية يريد بها المتكلم ويهدف إليها.

ثانياً: المقاصد في الاصطلاح: لم أجد تعريفاً اصطلاحياً عند من اهتم من العلماء بالمقاصد؛ إلا ما كان منهم من عرّفها كمقاصد شرعية، كما ذهب إلى ذلك العلامة العز بن عبد السلام بقوله: (ومعظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها)⁽²⁾، فتعريفه لها كمقاصد شرعية، ومعلوم أن المقاصد القرآنية تندرج تحتها المقاصد الشرعية، فالقرآن مصدر الشريعة ومرجعها، فالمقاصد القرآنية عامة، والمقاصد الشرعية فرعية. ولذا يمكننا أن نعرف المقاصد اصطلاحاً بأنها: إرادة الغاية من اللفظ فهماً بالنقل أو العقل.

(1) ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 3/353-357 مادة قصد.

(2) عبد السلام عز الدين عبد العزيز: قواعد الأحكام في مصالح الأناس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، 9/1.

ثالثاً: والقرآن لغة: مصدر من قرأ، بمعنى تلا، بمعنى اسم المفعول، أي بمعنى متلو، أو بمعنى جمع، فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدراً، وعلى المعنى الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل، أي بمعنى جامع، بجمعه الأخبار والأحكام⁽¹⁾. وقيل: هو اسم غير مشتق وغير مهموز؛ بل وضع علماً على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أخذ من قرأت كان كل ما قرئ قرآنًا، ولكنه مثل التوراة والانجيل كما قال الشافعي⁽²⁾.

رابعاً: القرآن في الاصطلاح: (هو اللفظ العربي المنزل على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبريل، المتحدي، المعجز، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس)⁽³⁾.

الفرع الثاني: تعريف المقاصد القرآنية باعتبارها علماً على فن معين:

المقاصد القرآنية هي: الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد⁽⁴⁾. وقيل هي: المعاني الأصلية التي نزل القرآن ببيانها وتحصيلها⁽⁵⁾. ويمكننا تعريفها بأنها: الغايات المفهومة من سياق معنى أصلي أنزل القرآن لأجلها، ودعا إلى تحقيقها.

فالغايات هي منتهى ما يفهم من سياق المعنى الأصلي إدراكاً لمراد الله تعالى، وكشفاً لحقائقه وحكمه، إذ لا يقتصر التفسير على بيان الحكم الفقهي في الآية، وما ورد فيها من دلالات نحوية وبلاغية كما هو مسلك المتقدمين السالكون في تفسير القرآن، وإنما يُعْمَلُ الفكر والإدراك في المقاصد القرآنية، وهو المنهج المستدرك في عصرنا الحاضر، استكمالاً للبنات الأولى منذ عصر النبوة والخلافة بما يخدم حاجة البشرية وفقاً لمقتضيات الشرع. ولهذا استدرك الإمام البقاعي على المفسرين الذين سبقوه، لافتاً إلى أهمية المقاصد، وأن السورة القرآنية لها مقصد واحد يُدار عليه أولها وآخرها إذ يقول: (فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها)⁽¹⁾.

(3) الكفوي أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، 720/1، الصالح صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000م، 18/1، العثيمين محمد صالح: أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط1، 1422هـ - 2001م، 6/1.

(4) ينظر: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1394هـ - 1974م، 181/1.

(1) المقدسي عبد الله بن أحمد بن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، مؤسسة الريان، ط2، 1423هـ - 2002م، 200/1، أمير بادشاه محمد أمين البخاري: تيسير التحرير، مصطفى الباوي الحلبي، مصر، 1351هـ - 1932م، وصورته: دار الكتب العلمية 1403هـ - 1983م، ودار الفكر، بيروت 1417هـ - 1996م، 180/4، الشوكاني محمد علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1419هـ - 1999م، 85/1.

(2) حامدي عبد الكريم: مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ط1، دار ابن حزم، 2010م، ص29.

(5) يوسف حماد محمد: المقاصد القرآنية في سورة ق، مجلة تدبر، العدد 8، السنة 4، رجب 1441هـ - مارس 2020م، ص35.

ونتفق مع الإمام البقاعي فيما قاله أن لكل سورة مقصد، إلا أن حصر السورة بمقصد واحد ليس بمسلم له، إلا إذا كان يقصد مقصدا عاما، ومعلوم أن من سور القرآن ما تجاوزت المقصد لاشتمالها على مقاصد متنوعة في التوحيد والسياسة الشرعية والأخلاق وغيرها، وقد تكون مقاصد عامة وخاصة، والمتبادر والمستساغ أن السورة تتضمن محورا أو عدة محاور يرتبط أولها بآخرها، وهذا ما يمكن أن نستوعبه من كلام الإمام البقاعي، ويستحسن الأخذ به، ولعله يقصد المقصد العام حصراً لا يتعداه إلى المقاصد الخاصة.

وعلى المنوال الذي مضى عليه الإمام البقاعي، نحى العلامة الدكتور محمد الغزالي بطريقة مشابهة مستدركا على المفسرين تركيزهم على الأحكام الشرعية المستنبطة على حساب المقاصد المتنوعة الأخرى، مشيراً إلى التفسير الفقهي للقرآن الذي طوّع الآيات على الحكم الشرعي، دون النظر في المقاصد الأخرى، مما يستدعي الاستدراك، إذ يقول: (هناك التفسير الفقهي للقرآن، وهو تفسير طوّع الآيات على الحكم الشرعي، دون النظر في المقاصد الأخرى، وهذا فيه شيء يستدعي الاستدراك⁽²⁾).

المطلب الثاني: القسم بالأماكن المقدسة والغاية منه

لله أن يقسم بما شاء من خلقه، وله العظمة والكبرياء، وما قسمه إلا لإقامة الحجة على عباده، وبيان الحق فيما يبلغه رسله عنه، ولا إلزام على الله عز وجل بضرورة القسم، إذ ما يصدر عن الله هو الحق والعباد ملزمون به، وأما المقسم به فتتعدد المعاني حسب السياق، فمنه للتعظيم، ومنه للبيان، ومنه للرفعة وسمو المكانة.

الفرع الأول: القسم بالتين والزيتون

وفي سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون فقال تعالى: (وَالَّتَيْنِ وَ الزَّيْتُونِ) التين الآية 1. وقد اختلف المفسرون حول المراد بالتين والزيتون، فمنهم من يرى أن التين الفاكهة المعروفة التي تؤكل، والزيتون الشجرة المباركة التي تثمر الزيتون الذي يؤكل ويعصر منه زيت، فالتين غذاء وفاكهة ودواء، وهي شجرة تُظهرُ المعنى قبل الدعوى، وأما الزيتون فهو شجرة مباركة، فاكهة من وجه، وإدائاً من وجه، ودواء من وجه، ومنهم من رأى أن المراد بالتين والزيتون البقاع والأماكن، فالتين هي دمشق، والزيتون الجبل الذي في القدس وبني عليه المسجد الأقصى، وهما مكانان مباركان، وإنما ذكر بالفاكهتين تشريفاً للمنبت⁽³⁾.

(1) البقاعي إبراهيم بن عمر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ-1987م، 1/149.

(2) الغزالي محمد: كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ - 1992م، ص 40.

(2) الطبري محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1422هـ-2001م، 24/503.

ابن كثير إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ-1999م، 8/434، القاسمي محمد جمال الدين:

محاسن التأويل، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1418هـ، 9/498.

وقد انتقد الإمام الشوكاني أئمة التفسير الذين عدلوا عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية، والعدول إلى تفسير معنى الفاكنتين بالأرض والمكان والمسميات المختلفة التي لا ترجع إلى عقل ولا نقل، إذ يقول: (وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل)⁽¹⁾.

والغاية من القسم بهما فيه إظهار لصفات الله تعالى وقدرته، ولأن ثمرة التين والزيتون عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة وأشرفها، وإظهار عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من البركة بسكنى الرسل والأنبياء، وفي ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهبط أشهر الشرائع السماوية وأشرفها الشريعة الخاتمة، وهذا ما يسمى براعة الاستهلال⁽²⁾.

والمأمل في أقوال المفسرين القائلين بأن المقسم بالفاكهة المعروفة أو القائلين بأن المقسم به منبت تلك الفاكهة، ولا تتنافى تلك الأقوال، فكلها حق، فيكون الإقسام تناول الشجرتين ومنبتها، فإن منبت هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون في جملة البقاع الفاضلة الشريفة، وكأن التشريف للفاكنتين تشريف أيضاً لمنبتهما، وفيه إظهار لمكانة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومكانة عيسى عليه السلام، وهذه الآية وما بعد إيدان من الله بقيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلك البقاع، لاسيما والسورة مكية، ونزلت بمكة، وهي تحمل بشارة سيادة الإسلام وهيمنتته على بقاع الأرض، بما فيها أرض الشام التي كانت معقل قيادة الشريعتين اليهودية والنصرانية⁽³⁾.

الفرع الثاني: القسم بطور سينين

وأقسم الله تعالى بطور سينين، فقال تعالى: (وَطُورِ سَيْنِينَ) التين الآية 2. الطور أقسم الله به في هذه السورة، وسينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى⁽⁴⁾، وهو الجبل الذي أعطيت فيه الوصايا العشر لموسى عليه السلام من الله، فهو جبل مبارك وعظيم، وفيه كلم الله موسى⁽⁵⁾.

(1) الشوكاني محمد علي: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، 5/566.

(4) الإمام ابن عاشور تحدث عن احتمال المعنى وتعدد من خلال براعة الاستهلال، ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م 422/30.

(5) ينظر حول هذه الفكرة: رضا محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية، 1990م، 9/304.

(1) يقع جبل الطور في شبه جزيرة سيناء بالقرب من كل من دير سانت كاترين وجبل كاترين، التي تعتبر حالياً جزءاً من جمهورية مصر العربية، ويقع تحديداً في جنوب سيناء، ويرتفع هذا

الجبل عن سطح البحر حوالي 2290 متراً، ويحيط بالجبل مجموعة من قمم جبال جنوب سيناء، ويوجد فيه كنيسة يونانية أرثوذكسية صغيرة ومسجد صغير لا يزال يستخدمه المسلمون: يونيو 2017، الدخول في 6 مايو 2024م، الساعة 2:27. <https://mgall.org>. <https://mawdoo3.com>.

(2) ينظر: الحموي ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995م، 3/300، 4/48.

وقد ورد في بعض التفاسير⁽¹⁾ أن طور سينين جبل في بيت المقدس حوله شجر الزيتون بكثرة، وهذا القول غير صحيح ولا مستساغ، لأن موسى عليه السلام لم يدخل أرض المقدس وهي الأرض المقدسة، والقرآن الكريم يثبت لنا أن موسى وقومه من بني إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة التي هي بيت المقدس، ولم يدخلها إلا جيل جديد من عقبهم، قال تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) المائدة 21، وقد أجابوه كما وصف الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَحُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) المائدة 22، فبنو إسرائيل خرجت من مصر أمرهم بجهاد أهل أريحا "بيت المقدس" من بلاد فلسطين، ولكنهم امتنعوا من الجهاد فعوقبوا بالتيه إلى أن مات أولئك العصاة ونشأ أولادهم، فقاتلوا الجبارين وغلبوهم⁽²⁾.

هذا وحين نتأمل في هذا القسم الذي عنى به الجبل الذي تلقى موسى عليه السلام الوصايا العشر التي تنظم شؤون بني إسرائيل، وفي هذا إيذان بانتقال القيادة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتلك البقعة التي أشهرت فيها قيادة موسى لبني إسرائيل بقعة مباركة حري أن تذكر، وبذكرها إيذان أنها ستؤول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيستلمها من ربه، هذا وهو لا يزال في مكة، والوحي لا يزال يقارع مشركي مكة، فالرابط رابط عقدي، فالغاية هي إشارة نقل القيادة والاستخلاف من بني إسرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما تحقق أثناء تأسيس الدولة وتنظيم القيادة، وبناء الأرض والإنسان.

الفرع الثالث: القسم بالبلد الأمين

(وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ) التين الآية 3، هذا القسم الثالث في السورة التي أقسم الله به، والبلد الأمين هو مكة، فبعد أن أقسم الله بالتين والزيتون، وهو قسم بهما وبمنبتهما، وكذا بطور سينين في سيناء، وهي أماكن مباركة، وجرت فيها أحداث ومواقف مع الأنبياء والرسل، وآلت قيادة تلك المناطق لحكم الإسلام، وخضعت لسلطة المدينة بقيادة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أقسم الله بمكة البلد الأمين، وخصه بكلمة البلد في إشارة إلى بلدة وميلاد وطفولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه، وترعرع ونشأ وكبر، وجاءته النبوة فيه، ففيه المسجد الحرام المبارك، وفيه النبي الخاتم ظهر للعالم أجمع.

مكة البلد الأمين من أعدائه أن يحاربوا أهله، أو يغزوه على مدار التاريخ، وإلى عصرنا الحاضر، فهو بلد مبارك ومهاب وآمن، وشرفه الله على بقاع الأرض، والإشارة إليه للتعظيم⁽³⁾، ووصفه

(3) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي 498/9.

(4) جامع البيان للطبري 173/10، ينظر: القرطبي محمد بن أحمد أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، إبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م، 6/130، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 75/3.

(5) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 422/30.

بالأمن لحفظه من أصحاب الفيل، وحفظ النفس حين الإلتجاء إليه كمباح الدم، وتقبيل الحجر الأسود الذي قيل أنه يسجل اسم من قبله وأشار إليه.

هذا وقد أعقب الله بالبلد الأمين بعد قسمه بالتين والزيتون وطور سينين، إشارة منه إلى أنه أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما، وفي ذلك شرف لمكة منبع الرسالة، وحاضنة الدولة والقيادة، وهي قبلة المسلمين في بقاع العالم، وبيان عالمية الإسلام وهيمنتته على الشرائع السماوية كلها، وهو ما أشارت إليه التوراة: (جاء الله من طور سيناء- يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران- وأشرف من ساعير- يعني بيت المقدس - الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فاران- جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا) (1).

و تتضح الغاية من القسم بالبلد الأمين في أن الإسلام الذي اتسع نوره من مكة سيهمن على غيره من الشرائع، وسيسود أمره على الناس طال الزمن أم بعد، ولهذا ربط الله بين الثلاث مناطق لرباط الهدف والغاية بينهما، وهو سيادة الإسلام وعلوه وفشوه في الأرض، وهذا ما تحقق وتعاقب على مدار الزمان والعصور، ولا يزال يتسع شأنه، وتعلو مكانته إلى أن يصير هو الحاكم في الأرض.

المطلب الثالث: الفطرة الإنسانية وتكريم الانسان

كرم الله الانسان على سائر مخلوقاته، لما ميزه بالعقل والادراك، والعلم والمعرفة، ولما حباه من رعاية منذ تكوينه الأولي، وفي هذه السورة يقول الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) التين الآيتان 4،5.

قال الإمام الطبري: (وهذا جواب القسم، يقول تعالى ذكره: والتين والزيتون، لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم، إلى أن قال: لقد خلقنا الانسان في أحسن صورة وأعدلها) (2).

مما يشعر أن الانسان اكتسب حسن الإنشاء وحسن الحال مع اختلاف المأل، وقيل: تقويم الانسان عقله وإدراكه وتمييزه (3) وقد يشملهما المعنى المراد في الآية.

فالله خلق الانسان من طين، وهذا الطين من الأرض، وقد يكون تكريم الانسان تكريم للمكان، وفي ذلك إشارة أن منابت التين والزيتون وطور سينين أماكن مباركة، منها تشكل الانسان أو من جنسها، فتوالت المؤكدات الستة وهي الأقسام في بداية السورة، وباللام، وبقد، لتحقيق أن الانسان مكرم، وأن أصله مكرم، وطالما والحال كذلك، فَلِمَ ينكر الانسان أصله؟ وَلِمَ يستهين الانسان بأصله؟ وقد استخلفه الله في الأرض مميزاً على مخلوقات الله الأخرى.

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 435/8، محاسن التأويل للقاسمي 499/9.

(2) جامع البيان للطبري 512/24.

(3) ينظر: التعلي أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1422هـ -

2002م، 240/10، المحرر الوجيز لابن عطية 500/5، الجامع لأحكام القرآن القرطبي 114/20، أبو السعود محمد بن محمد: إرشاد العقل السليم إلى

مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، 175/9، التحرير والتنوير لابن عاشور 30 /436.

فسياق الآيات مترابط، يحكي أولاً عن قدسية المكان، ثم عن ماهية الإنسان وتركيبه وصورته، فهناك رابط يربط الإنسان بالمكان لتحقيق الغاية من خلقه، وقد نقل الإمام الرازي عن بعض الصالحين قوله: (إلهنا أعطيتنا في الأولى أحسن الأشكال، فاعطنا في الآخرة أحسن الفِعال، وهو العفو عن الذنوب، والتجاوز عن العيوب) (1).

قال القشيري: (وهذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن التركيب والصورة لأنه لو كان في شيء منهما لكان هو الأحسن، لأن كل صفة يشترك فيها الخلق والحق، فالمبالغة للحق كالعالم والأعلم، والكريم والأكرم) (2).

ثم يأتي النقصان بعد الكمال، فبعد اكتمال التركيب الإنشائي للإنسان بآدم عليه السلام، وما تسلسل من ذريته، يأتي النقصان إما في العمر، وإما في العاقبة والمآل، والثاني أظهر وأنسب، فالإنسان كرمه الله، والتكريم محل تبجيل ورفعة وحفاوة، فإن أخل الإنسان بمتطلبات التكريم، وخرج عن الفطرة السليمة، والتجأ إلى الرذيلة، فقد نقص تكريمه برده إلى أسفل سافلين، أي رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم والضعف بعد الشباب، وإما إلى النار، أي من كفر بالله، واعوج عن الطريق المستقيم، وخالف فطرته التي خلقه الله عليها، وهي الإيمان به وحده، وقد يشملها النقصان، أي في العمر، والعاقبة والمآل، وإن كان الثاني أظهر وأنسب للسياق بمتطلبات الفطرة السليمة، فالغرض لفت انتباه الإنسان إلى فطرته وإرادته التي فطره الله عليها، ولكي يعيش في تحقيق تلك الفطرة وهي الإيمان بالله وحده، ففيها الكمال، وفيها حسن المآل، وهو مقصد مهم، وأما هرمه وضعفه في جسده وإن كان متحققاً ويتماشى مع فطرته وتركيبه، فلا مبتغى من ذلك إلا عدم الاغترار بالقوة المخرجة عن الفطرة السليمة، ولكن مقصد الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكاً مستقيماً للإيمان بالله، وعدم الاشرار به أقوى وأشد اعتباراً (3).

ومما يقوي ما ذهب إليه الاستثناء بعد هذه الآية في قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فالهرم والضعف بعد الشباب يقع على المؤمن والكافر، ولا يستثنى المؤمن إلا من دخول النار، ويشترك المؤمن والكافر في أن الله خلق أبو البشر آدم وذريته في أحسن صورة، فكان منه المؤمن ومنه الكافر، فاجتماع التحسين في الخلقة، وافتراق الكمال في العاقبة والمآل، ولقد أجاد من قال:

(4) الرازي محمد بن عمر بن الحسين: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ/2003م.

(5) القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 3، بدون تاريخ.

745/3، البقاعي إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون بيانات، 140/22.

(1) لمزيد تفصيل ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 500/5.

ما أنت مادحها يا من يشبهها :. بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها :. ومضحك من نظام الدر في فيها
من أين للبدر أجفان مكحلة :. بالسحر والغنج تجري في حواشيها (1)

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية العملية لسورة التين

نقصد بالمقاصد القرآنية العملية: أي السلوكية التي يعملها الانسان مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس، فمدار السلوك التطبيق العملي.

المطلب الأول: التصديق المطلق

قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) التين الآية 6. إلا استثناء متصل من ضمير رددناه العائد على الانسان، فالمؤمنون بالله إيماناً مطلقاً بأنه الرب والإله، وهو الخالق المتصف بصفات الجمال والكمال، المسير لخلقه، المدير لشؤون عباده لا يردوا إلى جهنم، إنما يرد إليها المشركون بالله، الجاحدون بربهم، الخارجون عن الفطرة السليمة، أما المؤمنون فلهم أجرٌ غير مقطوع وغير ممنون به عليهم، كما يفيد الاستثناء من خروجهم عن حكم الرد، وسواء كان المؤمنون في حال قوة الجسم والعقل، أم صاروا هرمى وزمنى، فلن يذهب إيمانهم هباءً، فايماهم المطلق بالله، وتصديقهم بربوبيته وبألوهيته، وبأسماه وصفاته متصل إلى حين أصابهم الكبر، وأجرهم متصل غير مقطوع، وذلك ثمرة من ثمار الايمان بالله، وفي الحديث: (إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً) (2). وهذا ينسجم مع خلق الانسان وفطرته.

ففي هذه السورة جاء اللفظ (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) وفي سورة الانشقاق الآية 25 جاء بلفظ (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) وفي سورة فصلت الآية 8 قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ليدل على نوع الاستثناء في سورة التين بأنه متصل، وفيه دلالة بأن إيمان المؤمنين لا ينفصل مع البلاء والابتلاء، فالفاء في سورة التين بيانية، بينت حال المؤمن بالله إيماناً صادقاً لا يدخل فيه شرك أو ريب، لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل، وهو الرابط بين الفريقين، فإما كفر مطلق، وإما إيمان مطلق، والآية رابطة بين الماضي والحاضر، انطلاقاً من الحاضر إلى المستقبل، وهي بالإيجاز تحكي عن فترات من الزمن عديدة بعقود أو قرون بأعذب عبارة، وأوجز لفظ، وزيادة بيان، وهو

(2) نقلها محمد صديق حسن خان القنوجي في تفسيره : فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ - 1992م، 302/15 ولم ينسبها إلى أحد.

(3) البخاري محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيامه (صحيح البخاري) ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ، 57/4 رقم الحديث 2996.

مقصد عملي تضمنته الآية، قال ابن عاشور: (وليس لانقطاع الاستثناء هنا احتمالاً، لأن وجود الفاء في قوله: (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يأباه كل الإبائية (1)).

والأجر غير المنقطع موصل إلى الجنة، دار الخلود، وذلك ثواب الايمان بالله المطلق والتصديق بوعده وووعيده، ولذلك جاء بعد هذه الآية (فما يكذبك بعد بالدين) فالتصديق المطلق لا يشوبه تكذيب بحال من الأحوال، وتحقيق العبودية لله هي الإذعان لله بأنه الرب والإله، ويترجم ذلك بالأقوال والأفعال على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول والإنسانية جمعاء.

المطلب الثاني: العمل الصالح وثماره في الدنيا والآخرة

الله تعالى في هذه السورة العظيمة، التي هي قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، بين صفات المؤمنين بقوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) وعملوا الصالحات لفظ يدخل فيه من المعاني العظيمة ما الله به عليم، ظاهره وباطنه، وما أوتينا من الله هو حول الظاهر منه، فالعمل الصالح لا يقتصر على العبادة من صلاة وزكاة وصوم وحج، ولا يقتصر على الأمانة والصدق والوفاء، ولا يقتصر على مكارم الأخلاق، ولا يقتصر على الانتماء للإسلام والمسلمين؛ بل يشمل ما ذكرنا وغير ما لم نذكره، فكل ما يرضاه الله لعباده صالح صلاحاً لا يشوبه فساد، وكل ما ارتضاه الانسان في حياته من أعمال ظاهرة وباطنة بما يحقق رضى الله، فإنه عمل صالح يرضاه الله، ويحث عباده عليه، فلا يكفي من الانسان إيمانه بالله دون عمل، فالإيمان اعتقاد قلبي، والعمل الصالح ترجمانه عملياً، وهذا مقصد عملي أشارت إليه الآية التي نحن بصدد التنقيب عن معانيها ومقاصدها العملية، وتشترك في ذلك المقصد كثير من الآيات، ولكنه في السورة قابل بين جزاء الكفار، وجزاء أهل الايمان، فجعل جزاء الكفار أسفل سافلين، وجزاء المؤمنين أجراً غير ممنون.

وقد بين الله تعالى العلاقة الوثيقة بين الايمان وبين العمل الصالح في كثير من الآيات، فلا نجد يذكر الايمان إلا وأتبعه بالعمل الصالح، كما في قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة 25، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة الآية 82، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 277، وقوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ) آل عمران 57، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) النساء 57، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور 429/30.

الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يونس الآية 9، وغيرها من الآيات التي تدل على اقتران العمل الصالح بالإيمان بالله، وثمرته في الدنيا رضا الله عنه وتوفيقه له، فيعيش في سعادة، وفي الآخرة نعيم لا ينقطع.

ففي الآيات السابقة جعل الله ثمار العمل الصالح الجنة، فجاء ذكرها لهم جنات، وتارة هم فيها خالدون، وتارة لهم أجرهم عند ربهم، وتارة فيوفيهم أجورهم، وتارة سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتارة في جنات النعيم، فتعدد المنازل والدرجات يدل على قدر ومكانة العمل الصالح، وكله أجر، ويعطى على قدر العمل الصالح، باختلاف سياق الأجر فيه إشارة إلى درجة العمل الصالح وتفاوته، وتلك حقيقة اعتنى بها القرآن في مواضع عديدة منه، وأشار إليها، فهم صالحون باقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح وصولاً إلى حياة الكمال في دار الكمال، ولا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان لقول الله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) فاطر الآية 10، أي إلى الله يصعد لا إلى غيره، ومعنى صعوده إليه قبوله له، أو صعود الكتبة من الملائكة.

وقال ابن العربي: (إن كلام المرء بذكر الله إن لم يقترب به عمل صالح لم ينفع، لأن من خالف قوله فعله فهو وبالٌ عليه، وتحقيق هذا: أن العمل إذا وقع شرطاً في قبول القول أو مرتبطاً، فإنه لا قبول له إلا به، وإن لم يكن شرطاً فيه فإن كلمه الطيب يكتب له، وعمله السيء يكتب عليه، وتقع الموازنة بينهما، ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران) (1).
لذلك أبرزت سورة التين مقصداً عملياً مهماً عليه مدار الحياة من ربح وخسارة، فلا إيمان بلا عمل، (وقد قيل: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر) (2).

المبحث الثالث: المقاصد القرآنية المصيرية لسورة التين

المطلب الأول: حتمية البعث والنشور

لما بين الله تعالى في السورة حقيقة خلق الله وتقويمه، وأقسم على تلك الحقيقة بالأقسام، وبأن الإنسان ميزه الله وكرمه على خلقه، ناسب أن يوقن الإنسان بحقيقة البعث والنشور، فما الداعي لنكرانها وقد علم الإنسان بالدلائل على قدرة الله ببداء الخليقة؟ فمن بدأها قادراً لا محالة على إنهاؤها، ولقد جاء الخطاب للإنسان بقول الله تعالى: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْإِنِّ) التين الآية 7. والخطاب في قوله تعالى: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْإِنِّ) عند الجمهور للإنسان، وقيل: (الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى: فمن يكذبك يا محمد بعد هذا البيان بالدين) (1) إلا أن سياق

(1) العربي محمد بن عبد الله أبو بكر: أحكام القرآن، راجعه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1424هـ - 2003م، 16/4.

(2) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره: الثعلبي أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1422هـ - 2002م، 101/8، ونسبه لابن المقفع.

السورة من أولها تدور حول الانسان وتقويمه، وأن الدلائل النقلية والعقلية قد أقيمت عليه، فكيف بعد بيان الله له يكذب بيوم البعث والجزاء؟! وبتكذيبه للبعث والجزاء فقد كذب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالسور أبرزت مقصد حتمية البعث والنشور، وهو مقصد عملي مبدأه القول، ومختمه العمل، والسورة مكية، وكان كفار قريش يسخرون من حتمية البعث والنشور مستهزئين، ومتعجبين كيف يعاد الانسان إلى تركيبه وحاله الأول بعد فناءه!، ولو أمعنوا أن الله هو الخالق، وهو الذي أوجد الانسان وركبه وقومه، وأبدع فيه نعمه ظاهرة وباطنة، وهو القادر على إعادته كما كان، فمن خلق لا يعجزه إعادة الخلق على حاله بعد الفناء؛ بل إعادة بالبعث والنشور أسهل على الله، وقد أوضحت آيات كثيرة تلك الحقيقة كما في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يونس الآية 34، وقوله تعالى: (أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) النمل الآية 64، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) العنكبوت الآية 19. وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) العنكبوت الآية 20، وقوله تعالى: (اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) الروم الآية 11، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الروم الآية 27، وقوله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) غافر الآية 57، وقوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) يس الآية 78.

ولأهمية مقصد حتمية البعث والنشور ربطه الله بالإيمان به، وجعله ركناً من أركان الايمان، فقال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) النساء الآية 136.

والبعث والنشور قضية عالجهما القرآن منذ مراحل تنزيله في مكة، لأن جاهلية قريش لا تقر بالغيبيات، ولا تعتمد إلا على المحسوسات؛ بل إنها ورغم ذلك لم تدعن للبراهين المحسوسة على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأطلقت عليها بأنها سحر يؤثر، وما ذلك إلا كفر بالله وجود بآياته، وإنكار لرسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكل ذلك من الكفار قديماً وحديثاً يتجدد في كل زمان ومكان، ويتعاطم الكفر والالحاد بمظاهره المتعددة والمتلونة والعياذ بالله.

المطلب الثاني: ضرورة العدل في القضاء

العدل هو المساواة في كل شيء من غير زيادة ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير، وقيل: هو الانصاف (1).

وهو الطريقة التي ارتضاها الله لخلقه، فبه يُردع الظالم، وبه يأخذ المظلوم حقه، وهو مبدأ أمر الله به وحث الناس عليه، فقال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) النساء (136) وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل الآية 90، فالآية السابقة من أجمع الآيات، جمعت جميع الأحكام الشرعية التي يحتاجها العباد، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان عادلاً، وجاء ليحقق العدل بين البشرية، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لقد شقيت إن لم أعدل) (2).

وفي سورة التين ختمت السورة بالإشارة إلى العدل في القضاء، وأن الله أحكم الحاكمين قضاءً بالحق في أحكامه، وعدلاً بين خلقه بحكمته، فقال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) التين الآية 8، والاستفهام في الآية للإثبات والتقرير (3). فالله أقوى الحاكمين حكمة في قضائه، وعدل في حكمه، وكامل في إصابة الحق وإحقاقه، وقطع دابر الباطل وإزهاقه، وكل خلقه ممثّل لقضائه وحكمه. فالآية تضمنت مقصداً عملياً هو العدل والقضاء، وحاجة البشرية لذلك المقصد كحاجتها للعيش والحياة، فالعدل في كل شيء ليس مطلباً للمسلمين فحسب؛ بل هو للناس جميعاً، وهو ملاذ الخائفين والمظلومين، وإذا تحقق العدل في دولة ما ستجدها مهوى كل مظلوم ولو كانت على غير ملة الإسلام.

والسورة إجمالاً على وجازة ألفاظها إلا أنها أحاطت بمقاصد الشرائع السماوية كالتوراة والانجيل وختمت بمقاصد القرآن، وهو ما عناه البقاعي بقوله: (وقد اشتملت هذه السورة على وجازتها على جميع مقاصد التوراة إجمالاً، وزادت الدلالة على الآخرة (4)).

(1) الخازن علي بن محمد بن إبراهيم: لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ، 95/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه 91/4 برقم 3138 من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه: النيسابوري مسلم بن الحجاج القشيري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، 744/2 برقم 148-1064 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 117/20، جزئ محمد بن أحمد الكلي الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1416هـ، 495/2، الشوكاني محمد بن علي: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ.

(4) الشنقيطي محمد الأمين محمد: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م 10/9.

(4) نظم الدرر للبقاعي 149/22.

خاتمة:

سورة التين وجيزة الألفاظ، كثيرة المعاني، وفيها من المقاصد القرآنية المهمة ما تحتاجه البشرية جمعاء في جميع جوانب الحياة، فله الحمد والنعمة على توفيقه وامتنانه، ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها الآتي:

- 1- اشتملت سورة التين على مقاصد عامة وخاصة وصولاً إلى التصديق المطلق.
- 2- ربطت سورة التين بين فترات الشرائع السماوية واليهودية والنصرانية والإسلام برابط الفطرة الإنسانية من الأقسام بالأماكن وما فيها من منابت تحقيقاً للاستقامة.
- 3- مرحلة التغيير في حياة الانسان منذ خلقه إلى موته وصفته السورة وصفاً دقيقاً باعتبار التغيير سنة من سنن الله في خلقه.
- 4- أشارت السورة إلى ضرورة العمل الصالح المثمر في الدنيا والآخرة بتنفيذ ما ارتضاه الله وبما أبلغ به نبيه الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- 5- أوضحت حقيقة البعث والنشور والجزاء كمقصد عملي لا يكتمل الايمان بالله إلا به.
- 6- العدل مقصد عملي تحتاجه البشرية جمعاء في جميع جوانب حياتها كحاجتها للعيش والحياة.
- 7- الله أحكم الحاكمين قضاء بالحق في أحكامه، وعدلاً بين خلقه بحكمته.

التوصيات:

- 1- إثراء دراسة المقاصد العامة والخاصة القرآنية للصور القرآنية.
- 2- إبراز أوجه الشبه بين الشرائع السماوية من خلال مقاصد القصص القرآني.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المؤلفات:

- ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م.
- ابن كثير إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ-1999م.
- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- أبو السعود محمد بن محمد: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

•

- بادشاه محمد أمين البخاري أمير: تيسير التحرير، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1351هـ-1932م، وصورت: دار الكتب العلمية 1403هـ-1983م، ودار الفكر، بيروت 1417هـ-1996م.
- البخاري محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيامه (صحيح البخاري) ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.
- البقاعي إبراهيم بن عمر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ-1987م.
- البقاعي إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون بيانات.
- الثعلبي أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1422هـ-2002م.
- جزي محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الخالدي، شركة دار الأرقم بن أي الأرقم، بيروت، ط 1، 1416هـ.
- حامدي عبد الكريم: مقاصد القرآن في تشريع الأحكام، ط 1، دار ابن حزم، 2010م.
- الحموي ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995م.
- الخازن علي بن محمد بن إبراهيم: لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ.
- الرازي محمد بن عمر بن الحسين: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ.
- رضا محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية، 1990م.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط 1394هـ - 1974م.
- الشنقيطي محم الأمين محمد: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م.
- الشوكاني محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط 1، 1419هـ-1999م.
- الشوكاني محمد بن علي: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ.
- الصالح صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط 24، 2000م.

- الطبري محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1422هـ-2001م.
- العربي محمد بن عبد الله أبو بكر: أحكام القرآن، راجعه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ - 2003م.
- العز عبد العزيز ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
- العثيمين محمد صالح: أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط1، 1422هـ-2001م.
- الغزالي محمد: كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ - 1992م.
- القاسمي محمد جمال الدين: محاسن التأويل، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- القرطبي محمد بن أحمد أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، إبراهيم طيفش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.
- القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، بدون تاريخ.
- الفتوجي محمد صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- الكفوي أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
- المقدسي عبد الله بن أحمد بن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، مؤسسة الريان، ط2، 1423هـ-2002م.
- النيسابوري مسلم بن الحجاج القشيري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- يوسف حماد محمد: المقاصد القرآنية في سورة ق، مجلة تدبر، العدد 8، السنة 4، رجب 1441هـ- مارس 2020م.

الانترنت:

- [h. https://mgall.org](https://mgall.org)
- <https://mawdoo3.com>.